

من التراث السياسي الزيدي

رسالة الإمام المرتضى محمد

إلى محمد بن عبدالله الشراعي

جمال الشامي

النسخة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

وبعد:

توصف الإمامة بأنها خالفة للنبوة، ولذلك فعليها مدار كثير من أحكام الإسلام^(١)، ولكي تتحقق صفة الخلافة للنبوة فيها لا بد من تحقق جملة من الشروط:

أولاً: وجود القيادة الصالحة للدولة، وتوفر العلم الكافي لها لتحقيق الغايات المرجوة منها^(٢).

ثانياً: أن تستند القيادة في بناء الدولة على النصوص الشرعية من دعوة وشروط وتطبيق^(٣).

ثالثاً: أن تجري جميع تصرفات السلطات العامة في الدولة وفقاً لقانون الشريعة المطهرة من غير مخالفة^(٤).

(١) الإصباح على المصباح ص ١٤٩.

(٢) المعراج إلى كشف أسرار المنهاج - شروط الإمامة.

(٣) لأنها لم تثبت إلا بالأدلة السمعية.

(٤) العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة ص ١٠٩.

وفي غير ذلك لا يمكن تحقق الوصف السابق كأن يكون الجاهل
والفساد في قيادة الدولة، فكيف يمكن سلوكها النهج النبوي!
أو إذا كان استنادها في البناء والأسس العامة إلى غير النصوص
الشرعية الملزمة، فكيف يمكن وصفها بالشرعية!
أو إذا كانت القيادة فوق القانون، فكيف يمكن وصفها بالمتابعة
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم!

وفي هذه الرسالة مزيد من التوضيح عن ذلك من خلال أسئلة
قدمت إلى الإمام المرتضى في ظل مناخ من الحرية عن الدعوة ووجوبها
على الإمام أو الأمة وعن شروط وصفات الأنصار وقد أجاب عنها
وعن غيرها من أصل الإمامة ووجوب الدعوة على الإمام والأمة معاً،
وعن الحاكم المفترض الطاعة، وعن العدد الذي يوجب الجهاد به
وصفات المجاهدين، وغير ذلك من المسائل السياسية.

وتقع الرسالة ضمن مجموع فيه كتب ورسائل للإمام الهادي والإمام
المرتضى ويعود ملكه للإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم سنة ١٠٣٤ هـ
ومن ثم ورثته كما هو مدون عليه، ويوجد في جامع شهارة، ولأهمية
الرسالة توجب نشرها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى
الله على محمد وآله وسلم.

١٨ شوال ١٤٣٨ هـ.

١٢ / ٧ / ٢٠١٧ م.

التعريف بالمؤلف

هو: محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الإمام إبراهيم بن الإمام الحسن بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، المرتضى لدين الله، أبو القاسم^(١).

أمه: فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٢).

مولده: ولد سنة ٢٧٨هـ^(٣) كما هو مذكور في الكتب مع أن مولده حقيقة كان قبل ذلك العام بكثير لعله ٢٦٨هـ فأقل؛ لأنه قدم مع أبيه إلى اليمن سنة ٢٨٤هـ على هذا المولد يكون عمره ست سنوات! وقد شارك في الجهاد وتعرض للأسر وكيف يعقل ذلك من طفل صغير غير مكلف بذلك، ونشأ على طريقة آباءه في التقوى واليقين والتحلي بآداب الأئمة الهادين.

(١) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص ١٣٣، الأعلام ج ٧ ص ١٣٥.

(٢) الشجرة المباركة ص ٢٥.

(٣) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص ١٣٣، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ص ٣٣١،

الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ص ٢٥.

آثاره الفكرية: خلف تراثاً جليلاً كلامياً وفقهياً وحديثاً على منوال أبيه في أصالة الحجج والبيان ومن ذلك: كتاب الأصول في التوحيد والعدل، وكتاب الإيضاح في الفقه، كتاب النوازل جزآن، وجواب مسائل المغفلي، وجواب مسائل مهدي، وكتاب النبوة، وكتاب الإرادة، وكتاب المشيئة، وكتاب التوبة، وكتاب الرد على الروافض، وكتاب في فضائل سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب الشرح والبيان ثلاثة أجزاء، وكتاب الرضاع، وكتاب مسائل القُدَميين، وكتاب مسائل الجابريين، وكتاب تفسير القرآن تسعة أجزاء، وكتاب مسائل الطبريين خمسة أجزاء، وكتاب مسائل مهدي أربعة أجزاء، وكتاب مسائل ابن الناصر، وكتاب مسائل البيوع ثلاثة أجزاء، وكتاب مسائل عبدالله بن سليمان، وجواب ابن فضل القرمطي، وفصل المرتضى، وكتاب النهي^(١).

وفاته: توفي الإمام المرتضى لدين الله سنة ٣١٠ هـ بصعدة حرسها الله، وله اثنتان وثلاثون سنة كما قيل، ودفن إلى جنب أبيه عليه السلام^(٢).

(١) التحف شرح الزلف ص ١٩٠.

(٢) الإفادة ص ١٧٠.

نص الرسالة

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم.
أطال الله بقاءك، وآدام كرامتك وعونك وتوفيقك، وأتم نعمه
عليك، وزاد في إحسانه إليك [إلى] عندك.

كتابنا عن سلامة وسبوغ نعمه، والله محمود مشكور، وصل كتابك
- أكرمك الله -، وسرنا سلامتكم، وسألت الله لك المزيد من فضله
بمنه وطوله، وكلما ذكرت - أكرمك الله بكرامته - من أخبارك وأخبار
الناحية قبلك وسكون أهلها واطمأنيتهم بها، فقد فهمته، فنسأل الله
العون على طاعته بمنه ورحمته.

وذكرت - أكرمك الله - ما أحببت من معاهدتنا واستطلاع
أخبارنا، مع قريب إلى ذلك من ذكر ما أنت عليه من مودتنا، والقول
بفضلنا، والتمسك بجلنا، والتقرب إلى الله سبحانه بولايتنا، ونحن -
أكرمك الله - فعارفون بعنايتك ومودتك، واثقون بدينك ونصيحتك،
فزاد الله في صالح نيتك، وأحسن على طاعته عونك، وشكر عنايتك،
وأحسن حفظك.

وذكرت - أكرمك الله بكرامته - أن رجلاً من إخوانك الجابريين
- حاطهم الله - سألك أن تسألنا له عن الإمام هل يكون داعياً أو
مدعواً؟

وهذه - أكرمك الله - مسألة لم نشك أنه أرادنا بها، وسنجيبه
بعون الله عليها، ونشرح له الذي يجب له علينا وعليه فيها.

[القول في الإمامة]:

واعلم رحمك الله أن أصل الإمامة من الله سبحانه فريضه مؤكدة،
بل على ذلك يقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فجعل سبحانه
هذه الآية دالة على طاعة الأئمة، ووجوبها على الأمة.

[الأئمة المفترضين الطاعة]:

والأئمة الذين أوجب الله طاعتهم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه
وأبأنهم بصفاتهم عن جميع خلقه، فقال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي
الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، وهم الذين يقضون بالحق
وبه يعدلون، أولوا الأحلام والنهي، والفضل والحجا، والدين والتقوى،
والعلم الباهر، والورع الظاهر، العادلون في السيرة، الرؤفاء بالرعية،
الدعاة إلى الله سبحانه سرّاً وعلانية، المجاهدون في سبيل الله، القائمون

بحق الله، و﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

فإذا كان القائم بهذه الصفة، ووجدت فيه هذه الأعلام والأدلة، مع صحة بينة، وثبات عزيمته، وظاهر ورعه وطهارته، ولم يخالف قوله بفعله، وجعل أمر الله سبحانه أكبر همه، فلم يكن خوفه إلا من الله، ولا رجاءه إلا له، وكان من أهل بيت النبوة، أهل الطهارة والصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(١)، والذين افترض الله في كتابه مودتهم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولاً مشهوراً نقله الصادر والوارد ويقبله الموافق والمعاوند: ((إني تارك ما إن تمسكتكم به لن تضلوا الثقلين: كتاب الله عز وجل، وعترتي أهل بيتي، هما مع الحق والحق معهما ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(٢)، وفي ذلك روايات كثيرة على ألفاظ

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

(٢) يسمى بالثقلين وهو من الأحاديث المتواترة أخرجه الكثير منهم: مسند أحمد ج ١٧ ص ١٧٠، مسند ابن أبي شيبة ج ١ ص ١٠٨، مسند ابن الجعد ص ٣٩٧، المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ٦٥، المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ١١٨، السنن الكبرى للنسائي ج ٧ ص ٣١.

مختلفة^(١)، ومعاني متفرقة^(٢)، استغنيا عن ذكرها؛ لمعرفتنا بظهورها وشهرتها يدل على ذلك أن الأئمة من آل رسول الله صلى الله عليه.

[كيفية الدعوة للإمامة]:

فإذا كان القائم بهذه الصفة التي شرحنا ثبتت إمامته، وقامت حجته، ولزمه الفرض من الله سبحانه أن يدعوا الخلق إلى طاعته، ويعرفهم بمكانه ونفسه، فيبث فيهم دعاية، ويفرق في نواحيهم كتبه ورسله، ويخاطبهم بنفسه حتى يوصل إليهم خبره وحاله، ويوقفهم على حجته ودعوته، وعلم ما يحتاجون إليه من هديه وسيرته.

[واجب الإمام تجاه الأمة]:

فإذا فعل الإمام ذلك، وبلغت دعوته، وانتشرت سيرته، وعرف مكانه ودار هجرته، فقد أدى ما افترض الله عليه سبحانه من حق الإمامة، بما بث من الدعوة، وأظهر من السيرة العادلة، وأقام من الحجة

(١) منها: ((وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)) صحيح مسلم ج٤ ص١٨٧٣.

(٢) ومنها: ((يا أيها الناس إني خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي فالمضيعة لكتاب الله كالمضيعة لسنتي، والمضيعة لسنتي كالمضيعة لعترتي، أما إن ذلك لن يفترقا حتى ألقاه على الحوض)) مسند الإمام زيد بن علي ص ٣٦١.

الواضحة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

[واجب الأمة تجاه الإمام:]

فإذا قضى الإمام ما يجب عليه من ذلك، وبلغ منه ما شرحنا وبيننا، فقد قامت حجته، ولزمت الخلق طاعته ومعاونته، والهجرة إلى داره وقراره من كل أفق، ولم يسع أحداً من الخلق تبليغه دعوته أو يتصل به علم خبره أن يتخلف عن المصير إليه، واللحوق به، والتمسك بأسبابه، والتقرب إلى الله جل ثناؤه بنصرته وولايته، ممن يقدر على ذلك، ويجد السبيل إليه.

فمن فعل ذلك من الأمة فقد أدى ما افترض الله عليه من حق الأئمة الذين أوجب الله طاعتهم، وافترض محبتهم وولايتهم، والأخذ بحظه فيما لزمه من فروض ربه.

[الإعراض عن الإمام ودواعيه:]

ومن أعرض عن ذلك متربصاً، ولم يجب داعي الله استكباراً، ورضي بجزور الجائرين، ومعاونة الظالمين، والاصرار على المعصية والمقام في دار القتل والجبرة، عوضاً من اللحوق بدار الهجرة ومعاشرة الأئمة الزاكية المطهرة، الذين أخلصوا دينهم لله، وتفردوا للعمل بالطاعة، والدعوة إليه، وتبصير الجاهل بما افترض الله عليهم من دينه، وشرع لهم

من سنته وأحكامه، [ونهاية] (١) الخلق عن معصيته، وتقويمهم إلى طاعته، ومن ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، لا فيمن يكن هذه حاله من الناس وجانب الأئمة، ونأى عن دار الهجرة، ولم يجب الدعوة فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً، فليس للظالمين بدلا، لقد خاب سعيهم، وخسرت صفقتهم، وإلى الله مرجعهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

[وجوب الدعوة ابتداءً:]

فهذا - أكرمك الله - بيان ما سألت عنه من خبر الإمام يكن داعياً أو مدعياً، فالدعوة واجبة عليه في بدئ أمره وعند ظهوره، على نحو ما شرحنا، فإذا فعل ذلك، وبلغ منه الذي يجب، فقد أدى فرضه، ولزم الخلق عند ذلك المصير إليه واتباعه في طاعته، فمثله بعد ظهور شخصه وانتشار دعوته كمثل الكعبة التي افترض الله الحج إليها على عباده، وأوجب عليهم أن يأتوها ويؤدوا ما افترض الله عليهم إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً إلى المصير إليه والحق به، لم يسع أحداً من الخلق التخلف عنه، ولا ترك الهجرة إليه، فافهم ذلك - أكرمك الله -

(١) لعلها كذا.

وتدبر معانيه، واعرف ما يجب من الحق عليك ولك فيه، والسلام على من اتبع الهدى، وإن يكون صاحب هذه المسألة - أكرمك الله - أرادنا بما سأل عنه من وجوب الدعوة على الإمام.

[دعوة الإمام الهادي وما عاناه]:

فلم يعلم أن الهادي صلوات الله عليه ورحمته أقام باليمن خمسة عشر سنة (١) معروفاً مكانه، ظاهراً شخصه، داعياً إلى الله بجهد، متنقلاً في أقطار اليمن، بنفسه يدعوهم إلى طاعة الله، والقيام بحقه، وإحياء ما يجب من أمره، تأتي ذلك رسله في كل ناحية وكتبه، وعلى المنابر خطيباً في كل أوان وبلد من البلدان، فكانت هذه حاله فيهم أيام حياته رضون الله عليه ورحمته بينهم، فما أجابوه ولا أطاعوه ولا أووه ولا نصروه ولا هاجروا إليه، فرغبوا فيما لديه بل حاربوه جميعاً بأنفسهم، وألتوا عليه الجبارين والمعاندين بين أظهرهم، وقبوا عليه بآرائهم وأمواهم، واستنفروه من الأرض بجهدهم وطاقتهم، وسيجدون غب ما اكتسبوا، ويحصدون ثمر ما زرعوا، ثم يقفون بين يدي الحكم العدل ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

(١) منذ القدوم الثاني من ٢٨٣هـ إلى ٢٩٨هـ.

[دعوة الإمام المرتضى وما يعانيه]:

ثم هذا أنا من بعد ذلك اهتف بهم [منذ بليت] (١) سنين مخافتاً وجهراً، وادعوهم إلى الله سبحانه علانية وسراً، رسلي فيهم بذلك محوقة، ودعائي في نواحيهم وأكثر أرضهم مبثوثة، وأنا في كل مشهد أنادي معلناً بالدعاء إلى الله والتوقيف على معالم دين الله، والاستصراخ بهذا الإسلام على القيام بحق الله، والجهاد للفراعة الداخلين في الطواغيت المنكرين، ليظهر أمر الله ولو كره المشركون، فما أجابنا من الناس إلا قليل، ولا أدى ما افترض الله عليه من المظاهرة على دعوتنا إلا اليسير الذين لا تقوم بهم الحجة، ولا تلزم بمثلهم مناهضة العدو؛ لقلّة عددهم، وكثرة عدونا وعدوهم، فليس ذلك بمقنط لنا عن رحمة سيدنا وتعطفه علينا بأعوان ينتخبهم لنا، وأنصار من فيه يستجدوننا فإنما نحن عبيده، وبه وله، يعلم سرنا ونجوانا، وهو حسبنا ومولانا، فنعم المولى ونعم النصير.

فويح الجاهل المغرور، فمن كان هذه حالهم وسبيلهم في الدعوة إلى ربهم وحسن القيام سبباً لله من اسندت إليه أمورهم اينسبون إلى توهين أو ضياع أو تقصير، حاشا الله ومعاذ الله، لقد أبان الله سبحانه أمرنا، ومبلغ جهدنا في الدعوة إلى الله، وحث العباد على ما يرضيه، ويقرب من الأمور إليه ما قامت لنا به الحجة، وزاحت الشبهة، ورجاؤنا

(١) لعلها كذا.

به عند الله سبحانه تفضله ورحمته وجزيل الثواب وكريم المآب، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ثم أنتم أولاً مجاورون لنا من عشرين سنة، قد بلغتكم دعوتنا، وعرفتم سيرتنا وقصدنا ومرادنا، وما نطلبه من إظهار دين الله، والقيام بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم تقبلوا إلينا بطاعة، ولم تنهضوا إلى دار الهجرة، ولم [نجد] منكم لنا معونة، ولا قيام في ذات الله ولا مظاهره، ولم يأت منكم متفقه في دين الله مسترشد ولا موافق ولا [معاون]^(١) فيها كذا يكون من انتحل الدين وقال إنه من المسلمين!..

أيها الناس أفيقوا من الغفلة، واستيقظوا من الوسنة، واقبلوا بالتوبة، ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ [مَنْ] ذُنُوبَكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢].

(١) لعلها كذا.

[صلاحيات الإمام]:

وسألت - أكرمك الله - هل يجوز للإمام أن يولي غيره وقد بلغ غايته [واتسعت داره] (١)؟

اعلم - رحمك الله - أن الإمام إذا قامت له الحجة، ولزمت له الطاعة، ووجد قوماً يمنعه، وأنصاراً يدفعون عنه ويطيعونه، وجب عليه القيام بأمر الأمة، وأن يظهر بنفسه، ويكشف رأسه، ويشهر سيفه، ويعلن دعوته، ولا يكل ذلك إلى غيره، ويتولى القيام بنفسه، ثم له عند ذلك أن يبعث الولاة، والجباة، والعمال، والحكام من تحت يده [ويسيرهم] في البلاد، ويقلدهم ما رأى من العباد على قدر حاجته إليهم، وثقته بحسن قيامهم، فهذه الوجوه التي هي تجوز للإمام أن يولي غيره، ويستعين فيه من المسلمين بمن حضره.

[عدم تهيؤا القيام بالإمامة]:

فأما إذا لم يتهيأ له القيام [ولم يجد] (٢) على ذلك أعوان مخلصين، ولا إخواناً في ذات الله مساعدين، وكان إلى الله سبحانه داعياً، ولم يجد السبيل إلى النهوض في أمر الله منتظراً، فلا يسعه ولا يجوز له أن يولي

(١) لعلها كذا.

(٢) لعلها كذا.

غيره شيئاً من أمر الإمامة، وهذا شيء لم نفعله، ولسنا نراه ولا نقول به، فافهم ذلك واعمل على حسبه إن شاء الله.

[نسبة الأنصار وصفاتهم في وجوب الجهاد:]

وقلت: فيما ذكرت من سؤالك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاهد المشركين في ثلاثة مائة رجل وثلاثة عشر رجلاً؟ ولعمري لقد كان ذلك من فعله صلى الله عليه، وإن لنا به القدوة والأسوة الحسنة.

وأحسب أنك أردت أن تقيم علينا بذلك في ترك قيامنا في وقتنا هذا حجة!

واعلم - أصلحك الله - إنك أغفلت النظر في تمييز ما بين الحاليين والفرق بين الأمرين، وذلك أن الله تبارك وتعالى فرض الجهاد على رسوله صلى الله عليه وأصحابه في أول أمره وبدوء مبعثه أن يجاهد الرجل الواحد عشرة، والعشرة مائة، والمائة ألف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، فكان فرض الله سبحانه عليهم كل رجل منهم عشرة رجال، فكانت الثلاث مائة والنيف ند الثلاثة آلاف من المشركين ونيف، ثم إن الله تعالى سهل على المسلمين، وأحسن النظر لعباده المؤمنين، فخفف المحنة عليهم، ونسخ

تلك الآية عنهم فقال: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ
يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فجعل
تبارك وتعالى الفرض على عباده القيام الذي يأخذهم به أن يجاهد
الرجل الواحد اثنين، والمائة مأتين، فصار الذي يجب لله علينا فرض الله
تبارك وتعالى ويلزمنا في جهاد عدوه وعدونا، والمناسبة لهم، والنهوض
بما كلفنا سبحانه من محاربتهم، أن معنا من المؤمنين الذين قد أخلصوا
لله دينهم، وبذلوا أنفسهم، ووثقنا بدينهم وأمانتهم، ونصيحتهم لله
سبحانه، ولنا فيما نقلدهم من أمر الأمة ونقضي به إليهم من سياسة
الرعية، وثباتهم معنا في حال مقابلة العدو فلا يولون الأدبار، ولا
ينكصون على الأعقاب، فإذا كان معنا من الرجال على هذه الصفة
التي وصفنا مثل نصف العدد الذي مع عدو الإسلام وعدونا الذين قد
ناصبونا بالمحاربة، وباينونا بالمعاداة والمنابذة، وأخذوا حذرهم منا
وتظاهروا وتواردوا علينا ليحملوا دين الله، ويدلوا حكمه، ويطفئوا نور
الله والله مِثْمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

فعند ذلك يا أخا جابر - أصلحك الله - يجب علينا النهوض
والقيام في أمر الله، والمنازلة لأعداء الله، حتى يعمل بكتاب الله المنزل،
وسنة نبيه المرسل صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم، ويعبد الله حقاً
حقاً، ونجاهد في سبيل الله قدماً قدماً حتى نلحق بالله شهداء على
طاعة الله أو ندرك ثأرنا في دين الله وعباده وبلاده، ونبيد المفسدين في

أرضه المبدلين لحكمه حتى يورثنا الله - جل ذكره - أرضهم وديارهم،
كما وعدنا سبحانه فقال: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي
الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

ونحن مع ذلك فدعاة إلى الله سبحانه، حريصون على نجاة المرتدين
من عباده، مواظبون على تأليف رجال نقتص بهم من أعداء الله، ونقيم
بهم دين الله، وقد والحمد لله اتصلت دعوتنا، وكثرت جماعتنا وشيعتنا،
والتأم إلينا رجال نرجو من الله سبحانه أن يكمل لنا منهم بلطفه العدد
الذي به تقوم الحجة علينا في النهوض والقيام بأمر الله سبحانه الذي به
تعبدنا وطلبنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون، ولعل ذلك أن يكون وشيكاً
بحول الله وقوته.

[صفات المجاهدين:]

وذكرت يا أبا جابر - أكرمك الله - اتساع الدار وكثرت من
بها؟

وليس باتساع الدار تقوم الحجة ولا بضيقها تسقط الفريضة، لكن
يجب ذلك بحصول الأنصار من المؤمنين بالشرائط التي قدمنا، فأما لو
أردنا القيام بأهل [الديار]^(١) من الجند والأعراب لكان لنا ذلك

(١) لعلها كذا.

ممكنا، وفي جميع البلاد مسعفاً، لكن حاشا لله ومعاذ الله أن نقيم دين الله أو نجاهد أعداء الله بقوم يجب جهادهم، ويستوون في الحكم هم ومن نحاربهم، ما جعل الله لنا سبيلاً إلى الجهاد بمن أوجب جهادهم، ولا إلى الانتصار بقوم قد افترض محاربتهم، لا يوثق منهم بنصيحة، ولا ديانة، ولا كف عن معصية، ولا خيانة، بل لو اتخذناهم لشغلنا معاناتهم عن معاناة العدو، وتقويمهم عن تقويم من يجب تقويمه بهم، هيهات أبا الله سبحانه أن نتخذ الظالمين عضداً، أو أن نجعل الفاسقين في القيام بدينه حظاً أو يداً إلا من بعد إخلاص التوبة، وصحة النية، فافهم - يرحمك الله - ما شرحنا من جوابنا فيما سألت عنه، فأحببت بيانه من أمرنا، والله ولينا وحسبنا، عليه توكلنا، فنعم المولى ونعم النصير، ونسأله أن يبلغنا صالح الأمل في الدين والمسلمين، إنه منان كريم، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً.

الفهرس

١	المقدمة
٣	التعريف بالمؤلف
٥	نموذج من المخطوط
٦	نص الرسالة
٧	المقدمة
٨	القول في الإمامة
٨	الأئمة المفترضين الطاعة
١٠	كيفية الدعوة للإمامة
١٠	واجب الإمام تجاه الأمة
١١	واجب الأمة تجاه الإمام
١١	الإعراض عن الإمام ودواعيه
١٢	وجوب الدعوة ابتداءً
١٣	دعوة الإمام الهادي وما عاناه
١٤	دعوة الإمام المرتضى وما يعانيه
١٦	صلاحيات الإمام
١٦	عدم تهيؤ القيام بالإمامة

نسبة الأنصار وصفاتهم في وجوب الجهاد	١٧
صفات المجاهدين	١٩
الفهرس.....	٢١